دلالاتِ الألوانِ ورمزيَّتها في ومضة "أبيض..أسود"

جمعة الفاخري، ليبيا

أبيض..أسود

عاد يتفقَّد الثلج، لمح اللون الأحمر لا يزالُ ينزُّ من أرصفة الموت، تعثر بقلوب سوداء.

في هذه الومَضَةِ[3]، يشتغلُ الكاتِبُ على دلالاتِ الألوانِ ورمزيَّتها، ليوصلَ لمتلقِّيهِ رسالةً في نفسِهِ، دَشَّنَ نَصَّهُ بالفعلِ (عاد)، لينبِّهَ إلى أنَّ البطلَ كانَ على مسرحِ الحدِثَ قبلاً، في المكانِ ذاتِهِ، المكانِ الذي يكتبُ عنه، أو يكتبُ منه؛ فالعودة فعلٌ مكرَّرٌ، أمَّا عودَتُهُ فكانت لـ (يتفقَّد الثلج)، وهذا العَائِدُ كانَ يبحثُ عنِ البيَاضِ/ الطهرِ/البراءة/ لكنَّهُ يصدمُ بلونٍ آخرَ هو الأحمر من خلالِ مشهدِ الدَّمِ النَّازفِ من أرضيَّةِ الموتِ، غير أنَّ حيرتَهُ لم تطلْ أمامَ هذا المشهدِ المُرَوِّعِ؛ إذ أنَّ القلوبَ السَّوداءَ تعلنُ عن نفسِها مقترفةِ للنزيفِ الفظيعِ هذا..

وقد تخيَّر الكاتب لنصِّه عنوانًا (أبيضُ أسود) ليشير بما بينهما من تضادٌّ إلى صراعِ الخير والشرِّ .. الليل والنهار، الجمال والقبح، النقاء

[3] بسّام جميدة. ويبقى النهر متدفِّقًا. مجموعة ومضات قصصية. سلسلة ومضات قصصية. الكتاب الرابع. طبعة ثانية. الجيزة: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني، أبريل 2015. ص 8.

والتشوُّه، الموت والحياة، الطهارة والخبث.. وغيرها من متضادَّاتٍ تعجُّ الحياة بها ..

والنصُّ بعباراتِهِ القليلَةِ والمكثَّفةِ يضمرُ كثيرًا منَ الكلامِ العميقِ، ويختزلُ صفحاتٍ كثيرةً منَ المعاني البعيدَةَ التي يرمي لها الكَاتِبُ، فإنسانُهُ الخَيِّرُ/ بطلُهُ، لا يزالُ يعاودُ البحثَ عن عالمٍ مشتهى قد يكونُ من تصوُّراتِهِ الآملِةِ فحسبُ، عالمٌ افتراضيٌّ لا يتجسَّدُ إلى في خيالِهِ، ولا يتكوَّنُ إلاَّ في أعماقِهِ النقيَّةِ الطَّامِحَةِ إلى الرَّاحةِ والهدوءِ والحلمِ والانتشاءِ، فيعودُ ثانيةً بحثًا عنِ السَّكينَةِ المفقودةِ، نشدانًا للسَّلامِ والحُبِّ والوئامِ.. تلمُّساً للطُّهرِ والنقاءِ الأبيضِ مثلَ ثلجٍ ، لكنَّ ظنونَهُ الطيِّبةَ تخيبُ كلَّ مرَّةٍ جرَّاءَ ارتكاباتِ ذوي النفوسِ السَّوداءِ المرعبةِ التي تنزُّ احمراراً يُلوِّنُ وجهَ عالمِهِ المبتغى..

والنَّصُّ بنحافتِهِ التركيبيَّةِ / التعبيريَّةِ، واكتظاظِهِ اللُّغَوِيِّ يعدُّ أنموذجاً جيِّداً للقصَّةِ الومضةِ ، ومثالاً رائعاً ذلك لقدرة الكاتب على تحميل ومضتَهِ مضامينَ كثيرةً في كلماتٍ مقتضبةٍ، لكنَّهَا شديدةُ الدِّلالَةِ، آيلةٌ إلى تفسيرَاتٍ عدَّةٍ، مواربةٍ على قراءاتٍ أخرى وأخرى وأخرى .. وهذا ما يجعلنا نصفِّقُ للكاتب بسَّام جميدة لنجاحِهِ في امتطاءِ نصٍّ مقتضبٍ مراوغٍ ، والتحليقِ بِهِ عالياً دونَ سقوطٍ في فخاخِ المباشرَةِ الممجوجةِ، والإطالةِ المُنكَرَةِ، متخطِّياً بِهِ حاجزَ الرَّمزيَّةِ المثقلةِ، الموغَلَةِ في الإبهامِ .. الغارقةِ في عتمةِ الغموضِ.